**مدخل لعلم السياسة 1 ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ المحاضرة 02 ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**جدلية السياسة كعلم أو فن؟**

يعتبر مفهوم السياسة من بين أكثر المفاهيم التي تحمل معاني ذات دلالات مختلفة، والتي وضعت الباحثين والمفكرين في وضع معرفي تنافري، حيث لاقت محاولات تعريفها الكثير من الجدل بين من يعتبرها مجال علمي أكاديمي بحت، وبين من يصنفها ضمن الأطر المهنية الاحترافية ( كجزء من الممارسة اليومية). فهل السياسة علم حصري مقصور على الافراد المنتسبين الى المعاهد والجامعات (مكتسب) ؟ أم هي فن يولد مع الإنسان بالفطرة (مزود)؟

1. **تعريف العلم**

* **لغة: العلم مشتق من الفعل علَمَ، وهو إدراك الشيء على حقيقته،**
* **اصطلاحًا:** العلم هو مجموعة المبادئ والأفكار التي اثبت التجريب صحتها وتنتج عن طريق الملاحظة والبحث، أو هو نشاط انساني يهدف الى تعرف الانسان على نفسه أو غيره أو ما يحيط به من ظواهر إنسانية طبيعية واجتماعية معتمدا على أدوات تحقق معرفة علمية تتفاوت في الصحة والخطأ.

**أ- خصائصه**

* العلمخطاب منهجي يتناول الواقع، لكنه ليس نسخة عن الواقع الذي يعكسه العقل البشر إنما هو مجموعة بيانات يمكن التعبير عنه باللغات الطبيعية او باللغات الاصطناعية (كالرياضيات، المنطق) وهو ما ينتج عنه مسبقا عدم وجود التطابق التام بين الحقيقة الخارجية والأدوات التي يستخدمها العلم لإدراك الواقع.
* يكون الادراك فيه علميا وليس حسيَا، لأنه إدراك كمي حيث تمنح الخاصية {التراكمية} ميزة تسمح للباحثين بعدم العودة دائما نحو نقطة الصفر.
* حقائق العلم قابلة للتحقيق والتعديل: حقائق العلم ليست أبدية (قدسية او معصومة) عن الخطأ بمعنى أنَها ليست مطلقة أو أبدية، والسبب أنها صادرة عن الإنسان وتختلف باختلاف ظروفه المكانية والزمنية، فهي صحيحة في ظل توافر الظروف والمكانيات التي تثبت ذلك لكن مع تغيير هذه الظروف يمكن أن نثبت مدى خطأها او صحتها.
* العلم قابل للمراقبة ذاتياَ: أي انه يصحح نفسه بنفسه، وفي هذا السياق يؤكد كارل بوبر أنه لكي يوصف أي شيء بالعلمي يجب أن يكون بالإمكان ان يكون خاطئاَ.
* العلم وثيق الصلة بالمجتمع : القضية الاجتماعية هي قضية علمية أما القضية الفردية فهي لا علمية، ولذلك على الباحث أن يعرف ما يدرسه من القضايا العلمية .فمنذ البدايات الأولى في بناء العلم وتطوره ارتكز العلم على تفسير المشكلات التي يعاني منها المجتمع الإنساني، باعتباره وسيلة تساعد الانسان على فهم الواقع.
* **ب-أهدافه :** يهدف العلم الى تحقيق النقاط التالية:
* **الوصف :** ويعتبر أحد اهداف العلم الأكثر دقة ، حيث يلجا الباحث الى التدقيق في مفاصل الظاهرة المراد تغطيتها بالوصف .
* **التصنيف :** حيث لا يكتفي العلم بالوصف والشرح فقط بل يلجا أيضا الى التصنيف والترتيب عبر الاختزال والاختصار الظواهر في فئات وعناصر .
* **التفسير:** يهدف العلم الى أبعد من الوصف والتصنيف ، وذلك راجع الى عدم قدرتهما على إعطاء نتائج دقيقة تشرح العلاقة السببية بين المتغيرات التي تؤدي الى حدوثها .
* **التنبؤ:** لا يتوقف العلم عند مستوى التفسير، بل يعمد الى التنبؤ بما سوف يحدث اذا تكررت هذه التعميمات المقدمة.
* **التحكم والضبط** : يهدف العلم الى التحكم في العوامل التي تجعل ظاهرة ما تتم وفق صورة ما أو تمنع حدوثها، وهنا تزداد قدرتنا على التحكم بالنتائج المستقبلية.

1. **تعريف الفن :** لإلقاء الضوء على تعريف الفن سنكتفي بإبراز بعض التعاريف المختصرة اهما :

".... **أنَ الفن هو التعبير الخارجي عن ما يحدث في النفس من بواعث وتأثيرات عن طريق اللغة أو الكلام ، أو الخطوط او الحركات أو الاصوات** ....."، تعريف أخر: **" الفن هو نوع من أنواع النشاط الإنساني، وشكل من اشكال الادراك الاجتماعي "**، ويعرف ، أيضا على أنه :

**العمل الذي يتميز بالصنعة والمهارة ، أو هو مجموعة الطرق والوسائل التي تستعمل من اجل الوصول الى نتيجة معينة وفق أصول معينة .**

1. **الفرق بين العلم والفن :**

هناك بعض الفروق بين المفهومين مثلما يرى البعض :

أولًا: **الفرق في أداة المعرفة**

فالأداة التي يعتمد عليها العلم هي العقل وهي متواجدة لدى كافة البشر، بينما الأداة التي يعتمد عليها الفن هي الوجدان .

**ثانيا : الغاية والأهداف**

غاية العلم هي المعرفة والمنفعة والتعميم ، والتوصل الى قوانين عامة وثابتة بينما غاية الفن البحث الجمالي والخلق الفني للواقع

**ثالثا: الفرق في المنهج المستخدم**

يبدأ العلم مع الملاحظة الحسية وينتهي مع استخلاص النتائج والقوانين بعد خضوعها للتجريب والاختبار، بينما نظرة الفن للعالم هي نظرة حسية مباشرة لا تفرض توظيف المنهج العلمي .

**رابعا : اللغة المستخدمة**

بالنسبة للعلم يستخدم مصطلحات وظيفية متخصصة ثابتة ومعروفة لدى الجميع وغير قابلة للتأويل. أما الفن فلغته قابلة للتأويل وتشتمل على فروق .

1. **الجدل النظري بين الموقفين:**

**الموقف الأول: (السياسة فن)**  يجمع انصار هذا الاتجاه على أن َ السياسة هي موجودة في الممارسة العملية أكثر مما هي موجودة في الكتب والبحوث العلمية والمعاهد و الجامعات، فهي عمل انساني لا يمكن حصره في الأطر الفكرية الضيقة أو جعله عمل تأملي حكرَا على النخب السياسية من أمثال الفلاسفة والمنظرين ، والباحثين وحتى المهتمين، وفي هذا السياق يلتقي هذا التوجه مع بعض التعاريف التي أشرنا إليها سابقَا، وخاصة التعريف الواقعي، الذي يؤكد على أنَ الوصول الى السلطة والبقاء فيها والمحافظة عليها، يتطلب الكثير من الدهاء والفطنة وحسن التصرف. وإذا كانت السياسة هي مجرد إدارة للدولة ومؤسساتها مثلما، يحددها التعريف الواقعي، فالاضطلاع على مهنة القيادة هو فن غير متاح سوى للحكماء والأشخاص القادرين على الإقناع ،أما إذا كانت السياسة هي سلوك انساني كباقي السلوكات، فهي تمتاز بالعفوية والتلقائية وتعتمد على الحدس أكثر مما تلجأ الى العقل .بالنسبة لانصار هذا الطرح فإن َ ممارسة السياسة لا تعتمد على المعرفة العميقة بالأسس والقواعد و الضوابط، ولا تعتمد على البيانات والدراسات التحليلية، كل ذلك هو مفيد لكنه غير كافٍ في العمل السياسي الذي يتطلب الفراسة والحذقة والفطنة والكثير من الحدس السليم ، إذن العمل السياسي مثل العمل الفني فيه الكثير من الإبداع والخلق والابتكار، فالقليل منه مدروس بتفاصيله الدقيقة ومحسوب بطرق يمكن حصرها أو التنبؤ بها ، لكن الكثير منه يمارس بعفوية وبقدر كبير من الفن، فالسياسة هي فن الممكن وليست علم الممكن ، يمارسها السياسي البارع المحنك الذي يتعامل مع دهاليزها بمساحة واسعة من المهارات الفردية والمغامرات المحسوبة وغير المحسوبة ، وليس العالم الذي تقيده الأطر النظرية والمفاهيمية، فالسياسة تمارس على نطاق واسع كالأسرة أوفي نطاق العمل والمؤسسات المجتمع.

**على ماذا يعتمد السياسي الفنان في ممارسة السياسة؟**

* لأن العمل السياسي هو عمل فني، لذلك يعتمد رجل السياسة فيه على مؤهلات وصفات خاصة تسمح له بممارسة السياسة:
* تتم السياسة في الاغلب وفق الخبرة والحصافة الشخصية و الفطرة.
* فيها الكثير من الخلق والابداع والابتكار.
* العفوية والجرأة في الاستجابة السريعة للتطورات والمستجدات اللاحقة. (القدرة على ابرام التحالفات والتنازلات والصفقات الصعبة).
* لان السياسة تمارس على نطاق واسع وعلى كافة المستويات الاسرية موقع العمل والمؤسسات المجتمعية، ففي كل موقع من هذه المواقع تتطلب السياسة سرعة البديهة والحكمة والمهارات الفردية القريبة من مهارات الفنان او اللاعب أو الممثل، ولذلك لابد لرجل السياسة أن يتقمص دور اللاعب تارة (السياسة كأي نوع من أنواع الرياضات). وأن يؤدي دور الممثل تارة أخرى (فهو يمثل الشعب ويحدث باسم قطاعات شعبية واسعة) أو حتى أن يمارس السحر والخداع وفن الابهار متى اقتضت الضرورة (السياسة هي ظاهرة كلامية بلاغية وصوتية تتم على المسرح وكلما كان السياسي أشد بلاغة كلما زادت شعبيته).
* رجل السياسة العادي يمارس السياسة بعفوية لا تهمه تعريفات السياسة الفلسفية والواقعية والسلوكية المختلفة.، فالإنسان العادي لا يدقق كثيراَ في معاني السلطة والقوة ولا يحتاج الى تعلم المناهج والقواعد التي وضعها أفلاطون وأرسطو و ميكافيللي و هوبز وغيرهم.
* فالإنسان كما وصفه أرسطو حيوان سياسي ( اجتماعي) بمعنى يمارس السياسة بالفطرة والطبيعة كسلوك غريزي.

إذن يتفق معظم الممارسين للسياسة مع هذا التعريف الشعبوي البسيط والواسع الانتشار والأكثر تداولا على أنها: **." فن الممكن وليست علم الممكن "**

**الموقف الثاني(السياسة علم):** ويرى أنصار هذا الاتجاه أنَ السياسة بقدر ماهي فن هي أيضا علم، وبقدر ماهي ممارسة هي أيضا معرفة، حيث لا يمكن تخييل ممارسة السياسة بدون معرفة مسبقة بسيطة كانت أو معمقة، لطبيعة نظام الحكم وشكل النظام السياسي وآلية العمل المؤسسات وأنواع الحقوق واصناف الحريات، وربما يعد التعريف الفلسفي من بين أهم التعاريف التي دققت في هذه الجزئية، وذلك عندما ربط مفهوم السياسة بفكرة البحث عن العدالة والمثل ضمن المدن الفاضلة ، لذلك فإن تخيل بناء المجتمع العادل هو في جوهره عمل تأملي ونشاط عقلي في قالب طوباوي يتضمن الكثير من العلم والتنظير والتفكير. لذلك فالسياسة هي حكرٌ على أصحاب الفكر والفلاسفة والحكماء دون غيرهم من أفراد المجتمع.

**من يمارس السياسة؟**

حسب هذا التعريف تعد السياسة من اختصاص رجل السياسة لأن هذا الأخير:

* يخضع الظواهر السياسية الى الدراسة و التحليل ويبحث عن قواعد السياسة وقوانينها و ثوابتها بقدر كبير من الحياد والموضوعية وبعيدا عن المواقف الشخصية و الإنحيازات العاطفية.( كحقائق ووقائع موضوعية).
* عالم السياسة وخلافا لرجل السياسة يتعامل معها بعقله لا بقلبه وينظر لجوهرها لا الى مظهرها. كما لا يهمه ما يحدث على مسارحها من خطب ومناوشات واستعراضات ،بل يقرأ ما بين السطور وليس السطور، حيث يهتم بتحليل السياسة وظواهرها من اجل فهمها وتفسيرها.

**على ماذا يعتمد عالم السياسة في ممارسة السياسة؟**

يعتمد عالم السياسة في ممارسته للسياسة على المنهج العلمي، حيثينظر إلىالسياسة كالظواهر الطبيعة، و باقي الظواهر الحياتية الأخرى، التي يمكن دراستها دراسة منظمة عبر خطوات البحث العلمي والمنهجي الحديث، كما ترتبط المعرفة السياسية عند عالم السياسة بالتنشئة ، فجزء مما نعرفه عن السياسة يأتي عبر مؤسسات المجتمع المختلفة كالأسرة والمدرسة والجامعة والنقابات الطلابية والمهنية والأحزاب ووسائل الإعلام ، أيضًا تبلور الحوارات والنقاشات السياسية ر فكر ومواقف من القضايا السياسية الراهنة. أما الكتب والمؤلفات والأدبيات السياسية التي تحتوي على كم هائل من المعرفة السياسية المتراكمة.

**السياسة كعلم أو فن:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| السمة | السياسة كعلم | السياسة كفن |
| التعريف | السياسة هي قوانين وقواعد  علم الممكن | هي فن التعامل واتخاذ القرار  فن الممكن |
| السياسي | عالم السياسة الذي يبحث عن الحقيقة | ممثل بارع ولاعب محترف على المسرح السياسي |
| المؤهلات | المعرفة العلمية العقلانية المتخصصة | الفطرة والحدس السليم |
| الصفات | التخطيط والمعرفة | البراعة والحنكة والذكاء |
| المصدر | التراكم المعرفي | القدرة الكلامية والبلاغية والمناورة |
| النشاط | يدرس السياسة | يمارس السياسة |
| التعامل | بالعقل والموضوعية والحياد | بالقلب والوجدان و العاطفة |
| الغاية | فهم السياسة والتعرف عليها | ممارسة السياسة |